

مقدمة التحقيق

الحمد لله العلى شأنه، الجلى برهانه، القوى سلطانه، الحمد لله الذى خلق الإنسان علمه البيان، وخلق له السمع والبصر والقوى والجوارح والبنان وشرفه بمعرفته وأهله لخدمته، وفصله على سائر الحيوان، واختصه بالنهى والأمر، والوزر والأجر، والطاعة والعصيان، ومنحه الحلم والحزم، والفكر والفهم، والذكر والعلم، وأهله للنظر والاستدلال، والارتقاء فى مدارج الكمال، الحمد لله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن بكمال قدرته، وجعل الأمر يتنزل بينهن ببالغ حكمته، واحد أحد فرد صمد منزه عن الأشباه والأمثال، متصف بصفات الجلال، أزل، أبدى، توحد بالقدم والبقاء، وقضى على ما عداه بالعدم والفناء، قدر الأرزاق والآجال فى الأزل، ثم بعث إليهم الأنبياء والرسل، مصداقاً لهم بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، ليدعوهم إلى تنزيهه وتوحيده، ويأمرهم بمعرفته وتعظيمه وتمجيده، ويبلغوا أحكامه إليهم مبشرين ومنذرين بوعدته ووعدته، فأقام بهم الحجّة، وأوضح المحجّة.

ثم ختمهم بأجلهم قدراً، وأتمهم بدرأ، وأشرفهم نسباً، وأزكاهم مغرساً، وأطيهم منبتاً، وأكرمهم محتدأ، وأقومهم ديناً، وأوسطهم ملة: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم - صلى الله عليه وسلم - وأنزل معه كتاباً عربياً مبيناً، فأكمل لعباده دينهم، وأتم عليهم نعمته، ورضى لهم الإسلام ديناً.

سبحانه من إله خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا، وأعطى ومنع وخفض ورفع وأتم الدين وأعلن البرهان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا وزير ولا مشير ولا أعوان، بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الصحابة والولد فهو القادر المقدر الحكيم الديان تعالى وتقدس عن كل مبطل كذاب ومشارك يعدل به غيره من الآلهة المخلوقين والأرباب المكذوبين: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١) عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (١)

سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمَجْلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَمُحَرِّمٌ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

وهو القائل: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وأشهد أن محمداً (٤) عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده، ابتعثه الله بخير ملة وأحسن شرعة وأظهر دلالة وأوضح حجة وأبين برهان إلى جميع العالمين، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، حاضرهم وباديهم، الذي بشرت به الكتب السالفة وأخبرت به الرسل الماضية، وجرى ذكره في الأعصار في القرى والأمصار والأمم الخالية.. ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبى البشر إلى عهد المسيح بن البشر.

١ - المؤمنون: ٩١-٩٢

٢ - الأعراف ١٥٧

٣ - البقرة ١٤٦

٤ - هو خاتم الأنبياء والمرسلين: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ينتهى نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام، ولد في مكة عام الفيل سنة ٥٣ ق.هـ/ ٥٧٠م، بلغ بالنبوته سنة ١٣ ق.هـ/ ٦١٠م، وكان عمره ٤٠ سنة قسرية، وتوفى في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ/ ٦٣٣م، وكان عمره ٦٣ سنة قسرية. (الأعلام ٦: ٢١٨)

إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى سبل الرشاد، وأنزل معهم الكتب، وأمرهم أن يعملوا بها، وأن يعلموا قومهم ليعملوا بمثل عملهم، وقد أورد الله تعالى في كتابه الكريم قصص الأنبياء، وبين مواضع العظة والعبرة من حياتهم، وقال تعالى: ﴿فَيَهْدِيَهُمْ لِقَتَدِهِ﴾^(١).

وقد عرّفنا رب العزة سبحانه أنه قد أيد الأنبياء والمرسلين بالآيات البيّنات والمعجزات الباهرات، فمن ذلك أن أيد نوحاً عليه السلام بالطوفان، وأيد صالحاً عليه السلام بالناقة، وأيد إبراهيم عليه السلام بالنار وكانت برداً وسلاماً، وأيد موسى عليه السلام بالعصا في تسع آيات مفصلات، وأيد داود^(٢) عليه السلام فألان له الحديد وأيد سليمان عليه السلام بأن علمه منطق الطير وسخر له الجن وسخر له الريح، وأيد عيسى عليه السلام بأن أبرأ له الأكمه والأبرص، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فتصير طيراً بإذن الله، وأن يحيى الموتى بإذن الله، وأيد محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة منها القرآن الكريم.

فهل بقيت معجزة نبي من الأنبياء سوى القرآن الكريم؟؟ وذلك لأن الرسالة الخاتمة يناسبها المعجزة الباقية، وأن تكون المعجزة الباقية هي التي تحمل الهداية والإرشاد والبيان، فكانت معجزة القرآن الكريم باقية إلى أن تقوم الساعة.

لقد نقل القرطبي^(٣) في تفسيره^(٤) عن كعب الأحبار^(٥) في صفة رسول الله صلى

١ - الأنعام ٩٠

٢ - داود أو داود أو داود: معناه "محبوب"، هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل المتحدة (١٠١١ ق.م. - ٩٧١ ق.م.) وأحد أنبياء بني إسرائيل. ويُعتبر أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين، وهو صاحب مزامير داود الشهيرة

٣ - القرطبي (؟ - ٦٧١ هـ) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. أندلسي من أهل قرطبة أنصاري. من كبار المفسرين. اشتهر بالصلاح والتعب. رحل إلى المشرق واستقر بمعية ابن الخصيب (شالي أسبوط - بمصر) وبها توفي. من تصانيفه: ((الجامع لأحكام القرآن))؛ و((التذكرة بأموال الآخرة))؛ و((الأنسي في شرح الأسماء الحسنى)) [الديباج المذهب ص ٣١٧؛ والأعلام للزركلي ٦/٢١٨].

٤ - تفسير القرطبي هو كتاب عظيم جمع تفسير القرآن كاملاً واسمه الكامل (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان). وهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعاً ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم. الكتاب من أفضل كتب التفسير التي عُنت بالأحكام. وهو فريد في بابه.

٥ - كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، أسلم في خلافة عمر، غضرم كان من أهل اليمن، فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان.

الله عليه وسلم ما نصه: "والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزا للأمين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر. ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا".^(١)

ولكن أين هذه الأوصاف من النصوص المقدسة، مثل توراة موسى وإنجيل عيسى عليه السلام؟ وأهل الكتاب من يهود ونصارى مقرون بوجود هذه البشارات، ومقرون بدلائنها على النبى الخاتم، لكنهم يصرون على أنه رجل من بنى إسرائيل، حيث يزعم النصارى أنه عيسى عليه السلام، بينما ما زال اليهود ينتظرونه، ويرى المسلمون أن هذا النبى المنتظر هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد حوى الكتاب المقدس الكثير من النبوءات المبشرة بالنبى الخاتم، ومع ذلك نجد القمص مرقس عزيز خليل، كاهن الكنيسة المعلقة يقول:

(لقد احتفظ لنا الكتاب المقدس بين صفحاته بالعديد من النبوات وقد تحقق الجزء الأكبر منها والباقى فى سبيله للتحقيق مثل علامات الساعة. فلو كان اسم رسول الإسلام قد ذكر بين صفحاته لما حذفه أحد بل كان يعتبره فى هذه الحالة كنبوة وعند مجيئه تصير النبوة حقيقة ولكن الحقيقة كانت شىء آخر. حيث لم نجد بالكتاب المقدس أى إشارة أو تلميحاً عن رسول الإسلام وبذلك يكون هذا الادعاء بالتحريف ادعاء باطلاً لا أساس له)^(٢)

وهنا تتجلى آيات القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾^(٣).

ويقول القمص مرقس عزيز فى نفس الكتاب: (هناك سؤال يطرح نفسه: لماذا

١ - القرطبي فى الأعراف ١٥٧

٢ - مرقس عزيز خليل: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٣٣٥

٣ - الرعد: ٤٣

يسعى بعض الكتاب لإثبات نبوات عن رسول الإسلام من الكتاب المقدس في الوقت الذي يهاجمون فيه الكتاب المقدس ويتهمون به بالتحريف؟ ولماذا لم يتهموا بالتحريف في هذه الآيات التي يتصورون خطأ أنها تشير إلى رسول الإسلام).^(١)

ونحن نقول: إن تصريح القرآن بالتحريف هو في البعض وليس في الكل، لأن القرآن يقول: ﴿الْمَرْتَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(٢)

فكلمة نصيباً نكرة تفيد أي قدر محدود من الكتاب، ولفظ من للتبعيض، والمعنى: أوتوا قدراً محدوداً من الكتاب وليس الكتاب كله.

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٣)

فلم يقل نسوا كل ما ذكرناهم به، بل قال: حظاً، أي تركوا نصيباً جزئياً وقسطاً وافراً من كل ما ذكرناهم به. وهذا الجزء الصالح للاحتجاج به من التوراة والإنجيل محكوم بتصديق القرآن لهما؛ لأن القرآن الكريم مهيمن على ما سبق من كتب الأنبياء. وعلى ذلك فإن استشهادنا بالكتب السابقة ليس تزكية لها إنما هو بحث عن القليل من أثار النبوة في سطورها، هذا القليل نؤمن به ولا نكذبه، إذ هو مصدق لما بين أيدينا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم". وقال صلى الله عليه وسلم مثبتاً وجود حق في هذه الكتب: "لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به".^(٤)

والله المستعان

المحققان،،،

١ - مرقس عزيز. ص ٣٤٠

٢ - آل عمران ٢٣

٣ - المائدة ١٤

٤ - رواه أحمد في المسند: ٣٨٧

مؤلف الكتاب:

هو الإمام الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الإمام السبط الحسن بن الإمام على رضى الله عنهم - ولد سنة ٣٣٣هـ.

قال صاحب الحقائق الوردية إن الإمام المؤيد بالله كان إمامياً فوضح له الحق فانقاد له أحسن انقياد فقد كان وحيد عصره، وفريد دهره، جمع العلوم وحفظها، وقد أخذ عن معاصريه من أهل البيت فقه الزيدية، ومن أخذ منهم السيد أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط، كما أخذ عن أبي الحسين على بن إدريس وقرأ عليه فقه الزيدية والحنفية.

ولهذا فقد أخذ جميع العلوم وفاض من أنوار علمه الكثير من المؤلفات التي ما تزال متداولة إلى عصرنا هذا.

وأول دعوة له كانت عام ٣٨٠هـ أيام الخليفة العباسي الملقب القادر (٣٨١-٤٢٢هـ) والذي كان كسلفه محترماً من حكام الدولة البويبية، وكان للإمام دعوة أخرى متأخرة عن هذا التاريخ في أيام الصاحب بن عباد، وقد بايعه أهل الجليل والديلم واستولى على هوسم، ثم امتد إلى الرى ومدينة آمل، وبسبب توافد الناصرين له وبذل أموالهم وأنفسهم فقد امتدت ولايته إلى الجليل وطبرستان فاستقام له الأمر، وكانت بينه وبين ملوك الديلم وجنود العباسية وقعات كثيرة كان النصر له، وأثبت فيها شجاعته.

وقد ناصره وبايعه كثير من علماء عصره منهم قاضى القضاة (عبد الجبار بن أحمد

بن عبد الجبار الهمداني) والذي كان شيخ المعتزلة في عصره، والصاحب بن عباد، وكذا من أهل البيت الكثير منهم الإمام مانكديم.

استقام له الأمر وكان مثلاً نادراً في زهده وحلمه وتواضعه فقد كان يحمل حاجياته من السوق بنفسه ولا يميز لنفسه ولا لأولاده أن يحمل حاجياته في دواب بيت المال إلا بأجر، وكان كثير الورع والتقشف، متصوفاً زاهداً، يجالس الفقراء والمساكين، يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان يتولى بنفسه حراسة بيت المال ويقسم بيده الأموال للجنود، وكان يرفع من شأن العلماء والصالحين وهو مع كل هذا ومع تفرغه لحل قضايا المتظلمين فقد كان غزير الدمعة كثير البكاء، دائم الفكر، كثير العبادة إلى أن توفي في ٩ ذى الحجة ٤١١ هـ.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة في الأصول والفروع منها:

أولاً: في علوم القرآن

كتاب يبين فيه إعجاز القرآن - طبع بعنوان (إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) تحقيق خليل أحمد الحاج.

ثانياً: في أصول وعلم الكلام

- كتاب (الآداب في علم الكلام).

- كتاب التبصرة

- كتاب النقض على ابن قبة جميعها مخطوطة.

ثالثاً: في الفقه

- كتاب (شرح التجريد) (تم تصويره من نسخ مخطوطة ونشرت أربعة أجزاء منه بهيئتها في مجلدين، وهو شرح لفتاوى الإمام القاسم والإمام الهادي، وهو من أجل معتمدات أهل البيت في الفقه).

- كتاب البلغة

- كتاب الإفادة
- كتاب الزيادات
- كتاب التفريعات وتولى جمعها أبو القاسم بن تال.
- كتاب الهوسميات.
- كتاب (الأمالي الصغيرة). جميعها ما يزال مخطوط لم تطبع ولم تحقق، عدا الأخير منها.

رابعاً: في الزهد

- كتاب (سياسة المريدين) أورد جزء من مقدمته صاحب الحدائق الوردية ص ٧٨ج ٢. وهو مخطوط صورة منه في مركز بدر العلمي بصنعاء.

الكتاب:

ويعتبر كتاب إثبات نبوة النبي من أهم الكتب التي تعرضت لإثبات نبوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي سلسلة مؤلفات تناولت النبوة والدفاع عن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ضمن شبهات حاول الكثير من المغرضين نفى صفة النبوة الشريفة عنه مدعين جملة من الأباطيل التي تؤكد على حد زعمهم أن محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يكن نبياً بل هو على أفضل أحوالهم مجرد مصلح اجتماعي ولم ينزل عليه الوحي بل كان مجرد اجتهاد بشري، والكتاب الذي بين أيدينا يفند الكثير من هذه المزاعم وهو ما سيتضح لاحقاً في متن الكتاب وتحقيقه.

وقد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على النسخة الميكروفيلمية الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٦٧ والمصنفة تحت بند (علم الكلام) وقد كُتبت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة من الهجرة.

منهجنا في التحقيق:

وكان منهجنا في التحقيق يقوم على: ضبط النص وتقويمه، والتعريف بأعلامه وتحديد مواضعه، وشرح الغريب من ألفاظه، وعرضاً للوقائع التاريخية التي ذكرها حتى تتم الفائدة للقارئ وفندنا ما اعتسف المؤلف تأويله وخاصة وأنه ينتمى

للطائفة الزيدية التي نشأت في أوائل العصر العباسي في القرن الثاني الهجرى
وسميت بالزيدية نسبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه. وهم أحد الفرق الإسلامية وأقرب المذاهب إلى أهل السنة. ورغم ذلك
وجدناه يلعن معاوية - رضى الله عنه - وأبنائه فقمنا بمناقشة هذا الهجوم
بموضوعية وحياد معتمدين على السنة المطهرة وأخبار السلف الصالح

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أنور محمود زناتى - محمد غالب على بركات.

Anwer_zanaty@mail.com

Mohamed_barakat45@yahoo.com

مقدمة الكتاب

الحمد لله ذى الفضل والإحسان، المخول من شاء من عباده سوابغ الأنعام، الذى هدانا لدينه، وأوضح سواء السبيل، بما نصب من أدلته الباهرة، وحجته القاهرة: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)

ثم أرسل إلينا خير مولود، وأكرم مبعوث: رحمة للعالمين، للمتقين: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢). فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وأنى لما رأيت غُثاء الملحدة ورعاها، مجتهدة لإدخال الشبه فى معجزات نبينا - صلى الله عليه وسلم - على أنفسنا - وعلى من قادته يد الشقاء، وسلكت به خبط العشواء، من جهال العوام وأوباشها - فهم عن الحق اليقين معرضون، وعن الصراط السوى ناكبون، قد استهواهم الشيطان، واستزهم الطغيان: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَاذْنَبْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ^٤ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) يظنون بجهلهم وعماهم، أنهم قد فطنوا لما جهله العلماء، واستدركوا ما فات أهل الدين، وتنبهوا عما غبى عنه فضلاء المسلمين.

١ - الأنفال: ٤٢

٢ - يس: ٧٠

٣ - الحشر: ١٩

كلا. بل هم صم عن الحق، لا يسمعون. وبكم عند المحاج لا ينطقون. وعمى عن الرشاد لا يبصرون: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) فإن أردلهم طبقة، وأحسنهم طريقة، وأقلهم شبهة، وأعتاهم على الله عز وجل، وعلى رسوله صلى الله عليه، وأعداهم للمسلمين، وأحرصهم على التحيل لإطفاء نور الله المبين: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢). من يتسبب منهم إلى الباطن ويوهم أن وراء ما في أيد المسلمين من حجج العقول والكتاب والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها، وأنها ممنوعة أو مستورة، إلا عمن بذل لهم العهود والمواثيق، فإذا كشفتها وجدت مخازي، تلوح عن صفحاتها أثر الاستهزاء بمن يأخذ عنهم، ويلوذ بهم، يعدونهم حمرا مستنفرة، قد زينوا عندهم ارتكاب الفواحش، وأباحوا لهم قطوف المظالم، وأحلوا لهم شرب الخمر، وترك الصلوات، ومنع الزكوات: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٣)

ينفون الصانع، وينكرون النبوات أجمع، ويجحدون الشرائع، فيقولون: "لا يقال في الله تعالى: موجود، ولا لا موجود".

لا يعلمون لجهلهم، وفرط غباوتهم: أن نفى النفي يقتضى الإثبات، عند أهل اللسان، ألا ترى أنهم أن أرادوا أن يحققوا الإثبات قالوا: "لا غير" فيقولون: "هو الرأى لا غير، وهو (زيد) لا غير". فيجمعون بين النفيين لتحقيق الإثبات، فإذا قالوا: موجود. فقد حققوا: أنه موجود، وإذا قالوا لا موجود، فقد نفوا ما أثبتوا ونقضوا ما قالوا. وليس ذلك مما يخفى.

لكن غرضهم في ذلك: هو التوصل إلى التعطيل، ونفى الصانع. ويقولون:

١ - المطففين: ١٤

٢ - التوبة: ٣٢

٣ - المائدة: ٧٧

" أن النبي محمداً - صلى الله عليه - إنما كان له التأييد، دون ما سواه من الوحي^(١) والإرسال، ونزول جبريل^(٢) عليه السلام".

ويشرون بالتأييد إلى المزية التي تحصل لكل من تقدم في صناعة، وبرع فيها، من شاعر، أو طبيب، أو فقيه، أو متكلم، أو منجم. ويسمون الشرائع: نواميس، ويتوصلون إلى جحدها وإبطالها بإدعاء: أن لكل شئ منها باطناً إذا عرف سقط وجوب العمل به. وينكرون البعث والنشور، ويقولون: معنى القيامة: هو قيام محمد بن إسماعيل ابن جعفر^(٣) وخروجه.

١ - وردت كلمة الوحي في آيات عديدة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنزِلُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا تَسْمَعُ الصُّهُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٥] ويقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥١] ويقول عز من قائل: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ١-٤]. والوحي يعنى في أحد معانيه الإلهام الفطرى عند الإنسان، والغريزي عند الحيوان، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨] فالإلهام الفطرى وصوت الضمير لدى الإنسان هو نوع من الوحي يختلف عن الوحي إلى الرسل. وكما أن للإنسان نفس تميل إلى الهوى، وحوله شياطين توسوس له بالشر، فإن لديه العقل والقلب والضمير، وحوله ملائكة توحى إليه بالخير.

٢ - جبريل هو حامل الوحي إلى الأنبياء، وهو الذى بلغ محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالنبوة عندما كان في غار حراء، وكان ينزل عليه بالقرآن الكريم طيلة مدة البعثة، وأحياناً يتمثل له بهيئة رجل ويراها الصحابة، ورد ذكره في القرآن الكريم بعدة أسماء: فابسم جبريل ثلاث مرات، وباسم روح القدس أربع مرات، وباسم الروح الأمين مرة واحدة، وهو الوارد ذكره في قصة تبشير مريم بعبسى بلفظ (روحنا) ثلاث مرات، وله نعوت منها: جبريل الأمين، وأمين الوحي، والتاموس الأكبر، وطاوس الملائكة، وهو - حاشاه الله - الأقوم الثالث من الثالث الإلهى عند النصارى، فهو مشارك للآب والإبن (عبسى) في الألوية، ويوجبون له جميع الصفات الإلهية كالعلم والخلق والتأثير في الكون واستحقاق العبادة. (القاموس الإسلامى ١: ٥٧٦، قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٤).

٣ - هو محمد إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ويعتقد الشيعة الإسماعيليون أن الإمامة في نسله هو - حيث يعتقدون أنه لم يموت وإنما قام جعفر الصادق بإقامة جنازة وهمية له حتى يبعد نظر العباسيين عنه - ويقولون أنه استطاع أن يفر ويقيم لنفسه دعوة في الستر. وبالتالي يرون أن الإمامة ليست في نسل موسى الكاظم وساقوا الإمامة إلى ولد إسماعيل محمد بن إسماعيل الملقب بالمكتوم بعد وفاة جعفر الصادق

ولولا أنه ليس غرضنا في كتابنا هذا: وصف أقوالهم، ونشر فضائحهم، وبسط مقابحهم من فساد عقائدهم، ومساوئ دفاتنهم مما بينه شيوخنا رحمهم الله - من الأشراف والعلماء في كتبهم المصنفة، في هتك أستارهم، وإذاعة أسرارهم، نحو أبي زيد عيسى ابن محمد العلوي الحسيني، وابن جعفر بن قنّه الرازي، وأبي عبد الله ابن درام الكوفي، وأبي أحمد بن عبدك الجرجاني، وغيرهم - رحمة الله عليهم.

ثم ذكرت ما في رسالتهم الموسومة بـ (البلاغ السابع)^(١) وربما سموها: (البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم) لكنني أحيل من أراد الوقوف على باطنهم وسرائرهم على هذه الكتب فإنها مشهورة معروفة معروضة لمن أرادها.

وارجع إلى الغرض الذي قصدته: وهو أني - رأيت أن أضع كتابا في الإبانة عن معجزات نبينا صلى الله عليه، وما أيدته الله تعالى به من الآيات البيّنات، والدلائل الواضحات، التي لا يذهب عنها من نصح نفسه، ولم يتلعب بدينه، مستعينا بالله تعالى، ومستهديا له، وراغبا إليه تبارك وتعالى: أن يعظم النفع لنا به، والمثوبة عليه، وأن يجعل سعبي فيه، وكدحي له، خالصا لوجهه.

هذا، ولست أطمع أن أزيد على ما قاله السلف - رحمهم الله - في هذا الباب. وإنما أوجز من كلامهم - رحمة الله عليهم - ما جعله البسط متباعد الأطراف، وأبسط ما جعله الإيجاز خفي الأغراض.

١ - وهم البلاغات السبعة وهي كتاب البلاغ الأول للعامّة كتاب البلاغ الثاني لفوق هؤلاء قليلاً كتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة كتاب البلاغ الرابع لمن دخل في المذهب سنتين كتاب البلاغ الخامس لمن دخل في المذهب ثلاث سنين كتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب أربع سنين كتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر قال محمد بن إسحاق قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها ومنذ نحو عشرين سنة تناقص أمر المذهب وقل الدعاة فيه حتى إنني لا أرى من الكتب المصنفة فيه شيئاً بعد أن كان في أيام معز الدولة في أوله ظاهراً شائعاً ذائعاً والدعاة منبثون في كل صقع وناحية هذا ما أعلمه في هذه البلاد وقد يجوز أن يكون الأمر على حاله بنواحي الجبل وخراسان فأما ببلاد مصر فالأمر مشتبه وليس يظهر من صاحب الأمر الممتلك على الموضوع شيء يدل على ما كان يحكى من جهته وجهة آياته والأمر غير هذا والسلام ومن المصنفين النسفي الذي تقد ذكره وله من الكتب كتاب عنوان الدين كتاب أصول الشرع كتاب الدعوة المنجية.

وأنتم - رحمكم الله - إذا تأملت أحوال الفترات التي كانت بين آدم^(١) ونوح وإبراهيم وموسى^(٢) وعيسى ومحمد - صلوات الله عليهم - ازددت معرفة بحسن تدبير الله تعالى لخلقه في ابتعث الرسل، وتجديد ما درس - أو كاد يدرس - من الشرائع والملل، وأنه - جل وعز - ابتعث حين علم الصلاح في الابتعث، ومد الفترة حين علم اقتران المصلحة بها، لأن الفترة - على ما يقوله بعض أهل التواريخ، على اختلاف بينهم فيه، والله أعلم بتحقيق ذلك - كانت بين آدم ونوح - صلى الله عليهما - سبع مائة عام.

وإنما كان كذلك - والله أعلم - وإنما نقول على مقدار ما يلوح لنا، ويبلغه مقدار أفهامنا - أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض - وهو أبو البشر وأول الإنس - ولم يكن في زمانه شيء من الكفر، ولا عبادة الأصنام، ولم يكن غيره وغير زوجته حواء أولادهما - عليهم السلام - وكانوا يعرفون حاله فلم يكن في أمره شك عندهم بوضوح أمره وظهور ديانته وقلة من بعث إليهم فامتد زمان الفترة. وكان بينهما -

١ - هو أبو البشر وأول الأنبياء، خلقه الله من تراب من غير أب ولا أم، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى استكباراً، فلعنه الله وتوعده بالعذاب وأمهله إلى يوم الدين، ثم أغوى إبليس آدم بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، فأهبطه إلى الأرض للقيام بوظيفة الخلافة وتاب عليه، ويعتقد أهل الكتاب أن الشجرة التي أكل منها آدم هي شجرة معرفة الخير والشر، كما يعتقد النصارى أن خطيئة آدم سرت في كل ذريته، فاضطر المسيح بوصفه إبناً لله وأحد الأقانيم الثلاثة الإلهية عندهم أن ينزل إلى الأرض ليصلبه اليهود كفارة عن خطايا البشر، وقد أبطل القرآن الكريم كلا الاعتقادين، ووردت قصة آدم فيه في عدة سور، كما ورد اسمه ٢٥ مرة في القرآن الكريم. وحسبها جاء في سفر التكوين في الإصحاح الخامس أن آدم عاش ٩٣٠ سنة (القاموس الإسلامى ١: ٥٦، قاموس الكتاب المقدس: ٣).

٢ - موسى: هو النبي الرسول موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام، كلمه الله وأرسله إلى فرعون مصر منفتحاً (مرنبتاح) ابن رعمسيس (رعمسيس) الثاني ورابع فراعنة الأسرة التاسعة عشرة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لإخراج قومه بنى إسرائيل. وقد وردت قصة موسى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وورد اسمه فيه ١٣٦ مرة، توفي موسى في آخر سنوات التيه في صحراء سيناء وبعد موت أخيه هارون عليهما السلام، ودفن في أرض مؤاب جنوب الأردن وكان عمره ١٢٠ سنة (البداية والنهاية ١: ٣٤٤، قاموس الكتاب المقدس ٩٣٠).

صلى الله عليهما - مع ذلك: شيث^(١)، وإدريس^(٢) - عليهما السلام - فاستحدثت الناس الكفر، وعبادة الأصنام واتخذوا: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا^(٣).

فابتعث الله سبحانه نوحا - صلى الله عليه - يدعوهم إلى التوحيد، وخلع الأصنام، والأنداد، ولبث فيهم كما قال تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٤) فغرقهم الله تعالى بالطوفان حين علم أنهم لا يصلحون، ونجا نوحا - صلى الله عليه - ومن معه.

ثم كانت الفترة بين نوح وإبراهيم - صلى الله عليهما - على ما يقوله المؤرخون نحو سبعمائة عام، وإنما كانت هذه المدة نحو تلك، لأن الغرق أعاد حال نوح إلى نحو حال آدم - صلى الله عليهما - وظهور أمره، وابتداء البشر منهم، مع أنه لم يكن بقى من الكفار أحد، إلا أن الناس كانوا قد عرفوا عبادة الأصنام، واتخاذ الأنداد من دون الله عز وجل، فأسرعوا بعده في الكفر، وعبادة الأصنام.

وكان الله تعالى قد بعث هودا إلى عاد لما ازداد تمردهم وصالحا - صلى الله عليهما - بعده إلى ثمود.

١ - هو شيث بن آدم عليه السلام، وُلد بعد مقتل أخيه هابيل، وكان عمر أبيه آدم ١٣٠ سنة، وعاش شيث ٩١٢ سنة (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣١).

٢ - إدريس عليه السلام هو أحد الرسل الكرام الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابة العزيز، وذكره في بضعة مواطن من سور القرآن، وهو ممن يجب الإيثار بهم تفصيلاً أى يجب اعتقاد نبوته ورسالته على سبيل القطع والجزم لأن القرآن قد ذكره باسمه وحدث عن شخصه فوصفه بالنبوة والصدقية.

٣ - ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. (وقالوا: لا تذرنا آلهتكم).. بهذه الإضافة: (آلهتكم) لإثارة النخوة الكاذبة والحمية الأئمة في قلوبهم. وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأنًا فخصوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامة المضللين الحمية والاعتزاز.. (ولا تذرنا ودا، ولا سواعا، ولا يغوث، ويعوق، ونسرا). وهى أكبر آلهتهم التى ظلت تعبد في الجاهليات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية. وهكذا تلك القيادات الضالة المضللة تقيم أصناما، تختلف أسماؤها وأشكالها، وفق النعرة السائدة في كل جاهلية؛ وتجمع حوالها الأتباع، وتهيج في قلوبهم الحمية لهذه الأصنام، كى توجههم من هذا الخطام إلى حيث تشاء، وتبقيهم على الضلال الذى يكفل لها الطاعة والانقياد: (وقد أضلوا كثيرا) ككل قيادة ضالة تجمع الناس حول الأصنام.. أصنام الأحجار. وأصنام الأشخاص. وأصنام الأفكار.. سواء!! للصد عن دعوة الله، وتوجيه القلوب بعيدا عن الدعاة، بالمكر الكبار، والكيد والإصرار! (انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن).

٤ - العنكبوت: ١٤

ثم لما ازداد الكفر ظهوراً وانتشاراً - ابتعث الله عز وجل إبراهيم^(١) - صلى الله عليه - فدعاهم إلى الله تعالى، وكسر أصنامهم، ونبههم على خطأ أفعالهم، وجدد لهم الذكرى، وأنزل الله عز وجل عليه الصحف.

وبعث لوطاً - صلى الله عليه - إلى قوم مخصوصين، حين ازداد عتوهم، واستحدثوا من الفاحشة ما لم يكن قبلهم.

ثم كانت الفترة بينه وبين موسى - صلى الله عليهما - نحو أربعائة سنة، وإنما كانت كذلك - والله أعلم - لأن إبراهيم - صلى الله عليه - مضى والكفر باق بينهم -، ظاهر، ولم يكثر أتباعه الكثرة الظاهرة - على ما بلغنا.

وبعث الله تعالى بعده: إسماعيل^(٢) وإسحق^(٣) ويعقوب^(٤) والأسباط وشعبيًا -

١ - هو إبراهيم بن تارح بن ناحور، ينتهى نسبه عند الجد الثامن إلى سام بن نوح عليه السلام، ولد في بلدة أور من بلاد بابل قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بحوالى ١٩٠٠ سنة، وقد ولد له في شيخوخته إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة، عاونه ابنه إسماعيل في بناء الكعبة، وقد ورد اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ٦٩ مرة، ويذكر في التوراة (العهد القديم) باسم أبرام، مات في فلسطين ودفن في مدينة الخليل (حبرون)، (القاموس الإسلامى ١: ١٢، قاموس الكتاب المقدس ص ٩).

٢ - هو النبي ابن النبي إسماعيل بن إبراهيم بن تارح (آزر) من نسل سام بن نوح، وأمه هاجر المصرية، وهو الابن الأكبر لأبيه، فقد ولد وعمر إبراهيم ٨٦ سنة، فأخذه أبوه مع أمه وأسكنها في مكة حوالى سنة ٢٧٩٣ ق.هـ. وفي إحدى زيارات إبراهيم لها في مكة امتحنه الله بذبح إسماعيل، فاستجابا دون تردد، ولكن الله فداه بكبش عظيم وأمرهما ببناء الكعبة فبنياها، وقد تزوج إسماعيل امرأة من جرهم الثانية من قحطان فولدت له اثني عشر ذكراً هم آباء القبائل العربية، ومنهم قidar جد عدنان، ولذلك يعتبر إسماعيل رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة، فقد اصططح النسابون على جعل العرب ثلاثة أقسام، فالعرب البائدة كعاد وشمود وجرهم الأولى، والعرب العاربة وهم عرب اليمن من ولد قحطان فهم القحطانيون، والعرب المستعربة وهم نسل إسماعيل بن إبراهيم وسكنوا في شمال الجزيرة، وقد توفي إسماعيل بمكة وعمره ١٣٠ سنة وقد ورد اسمه في القرآن الكريم ١٢ مرة. (الأعلام ١/ ٣٠٧، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٠)

٣ - هو النبي بن النبي إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، رُزق لوالديه في شيخوختها بعد أن جاوزا التسعين منت عمرهما، وهو أصغر من أخيه إسماعيل، توفي وعمره ١٢٨ سنة، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ١٧ مرة، وليس في شيء منها إشارة إلى أنه الذبيح، بل يفهم من آيات القرآن الكريم أن الذبيح هو أخوه إسماعيل عليهم السلام. (البداية والنهاية ١/ ١٧٥)

٤ - هو النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ويطلق عليه إسرائيل وهي كلمة عبرية مكونة من مقطعين: اسرا بمعنى عبد، وايل: بمعنى إله أو الله، أى عبد الله، وكان له اثنا عشر ابناً ليس فيهم نبي غير يوسف عليه السلام، وهم: رأوبين، شمعون، لاوى، يهوذا، يساكر، زبولون،

صلوات الله عليهم - قبل مبعث موسى - صلى الله عليه - وقيل: أن أيوب - صلى الله عليه - كان قد بعث قبل موسى.

فتغيرت أحوال بنى إسرائيل وقل قبول الناس للحق وظهر الكفر، وبلغ مبلغاً لم يكن بلغ من قبل، لأن فرعون^(١) اللعين أدعى الربوبية، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٢) واستعبد بنى إسرائيل فعظم الأمر وازداد الكفر، وأتسع الخرق، ونسى الحق، فلذلك قصرت مدة هذه الفترة، حتى بعث موسى - صلى الله عليه - مع تلك الآيات العظام، كالعصا، واليد البيضاء، ومجاورة بنى إسرائيل البحر بعد أن أنفلق البحر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) وتغريق فرعون اللعين، ومن تبعه إلى غير ذلك من الحجر الذى انفجرت منه العيون، وما كان ظهر قبل ذلك من الجراد والقمل والضفادع والدم، وغير ذلك مما يطول ذكره.

دان، نفتالى، جاد، أشير، يوسف، بنيامين. ومنهم تناسل أسباط بنى إسرائيل الاثنا عشر، فبنو إسرائيل هم اليهود من ذرية يعقوب (إسرائيل)، ولما انفصل الأسباط العشرة بمملكة مستقلة في السامرة وعاصمتهم نابلس ملكوا عليهم رحبعام بن سليمان. (قاموس الكتاب المقدس ص ١٤١) وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بلفظ يعقوب ١٦ مرة، ولفظ إسرائيل مرتين.

١ - فرعون في القرآن الكريم هي تعريب "برعا" المصرية القديمة، وهي اسم مزجى مركب من شقين: بر + عا والشق الأول يعنى البيت أو الدار، والشق الثانى "عا" صفة بمعنى الكبر أو العظم، فهو البيت الكبير أو البيت العظيم. وتدخل "بر" في تراكيب مزجية عديدة مثل: "بر + عنخ" أى بيت الحياة، يعنون دار الكتبة، وحين تأتى "برعا" المصرية القديمة على المزجية فهي تفقد معناها الأصيل كبيت كبير أو بيت عظيم، وتصبح كنية يُكنى بها عن شخص الملك مهابة وتفخياً، كما قال العثمانيون في خليفتهم "الباب العالى". والثابت لدى علماء المصريات أن "برعا" لم تصبح اسماً دالاً بذاته على شخص الملك بحيث تستطيع أن تقول: جاء "برعا" وقال "برعا" إلا منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة، عصر الرعامسة الذين كان منهم موسى. ومن إعجاز القرآن أنه يوم كانت اللغة المصرية القديمة، وكان التاريخ المصرى القديم طلاسمة مطلسمة عند العالم أجمع، بل وعند المصريين أنفسهم، لم يعلم فقط معنى "برعا" في اللغة المصرية القديمة، وإنما علم أيضاً منذ متى بدأ إطلاق هذه الكنية على ملوك مصر، فنخص بها فرعون موسى وحده، أما حين يذكر ملوك مصر الذين سبقوا فرعون موسى - كما ترى في حديثه عن الملك الذى استخلص "يوسف" لنفسه وجعله على خزائن الأرض - فهو يقول: "الملك" لا يخطئ مرة واحدة فيقول فرعون (رؤوف أبو سعدة: من إعجاز القرآن، ص ٣٣-٣٤).

٢ - النازعات: ٢٣

٣ - الشعراء: ٦٣

وأُنزل عليه التوراة^(١)، وبين فيها أحكام الحلال والحرام، وظهر أمره - صلى الله عليه - أتم الظهور. وإنما كانت أعلام موسى - صلى الله عليه - أكثر، وآياته أظهر، لأن بنى إسرائيل كانوا - والله أعلم - أجهل الأمم، وأغلظهم وأبعدهم عن الصواب، وأبلدهم عن استدراك الحق. ألا ترى أنهم بعدما جاوز الله تعالى بهم البحر. وغرق آل فرعون وهم ينظرون، قالوا: لموسى - حين مروا على قوم عاكفين على أصنام لهم - ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٢) واتخذوا العجل وعبدوه وظنوا أنه إلههم وآله موسى، وأنه نسي، فيحسب هذه الأحوال اقتضت الحكمة: إيضاح الآيات، والأعلام وتكثيرها لهم.

ثم بعث يشوع ويونس.

ثم بعث داوود - صلوات الله عليهم - وأُنزل عليه الزبور^(٣).

وبعث سليمان - صلى الله عليه - وآتاه الملك، مع تلك الآيات العظيمة.

ثم بعث بعدهم زكريا ويحيى^(٤) - صلى الله عليهم.

١ - كلمة مستعربة أصلها العبرى تورا. بمعنى القانون والشريعة والقانون، وهى الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام، وهو خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر الأخبار، وسفر العدد، وسفر التثنية. وقد وردت كلمة التوراة فى القرآن الكريم ١٨ مرة، وتطلق التوراة مجازاً على العهد القديم المشتمل على أسفار موسى الخمسة وعلى كتب الأنبياء التى ألحقت بالتوراة خلال تسعة قرون (القاموس الإسلامى ١: ٥٠٧).

٢ - الأعراف: ١٣٨

٣ - الزبور Zabur: هو الكتاب الذى نزل على نبي الله داود ويسمى فى التوراة "مزامير داود" ويحتوى على ١٥٠ مزموراً واشتق منها لفظة المزامير التى تصحب الاناشيد (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى، مجلد ٣، ص ٢٤) وكان داود - عليه السلام - حسن الصوت، جميل الإنشاد، إذا قرأ الزبور تكف الطير عن الطيران، وتقع على الأغصان، ترجع بترجيعة، وتسبح بتسبيحه

٤ - يحيى هو النبي الرسول يحيى بن زكريا عليها السلام، وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل بعد أبيه وقبل المسيح عيسى عليهم السلام، وأمه اليصابات خالة مريم، رُزق لوالديه فى شيخوختها، ويتصل نسبه من جهتها بهارون بن عمران شقيق موسى عليهما السلام، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر، وقيل بثلاث سنين، وقيل بخمس، وهو الذى عمّد عيسى فى نهر الأردن سنة ٣٠ م، ولذلك يسميه النصارى يوحنا المعمدان، قُتل قبل مقتل أبيه بقليل وقيل رفع المسيح عليهم السلام؛ لأنه نهى الملك هيرودس عن الزواج بهيروديا ابنة أخيه، فأمرتها أمها أن تطلب مهراً رأس يحيى عليه السلام، فقتله وقدم رأسه لها على طبق (أنظر إنجيل متى ١٤: ١-١٢)، ورد اسم يحيى عليه السلام فى القرآن الكريم خمس مرات. (البداية والنهاية ٢: ٥٧، قاموس الكتاب المقدس ١١٠٦).

فكانت الفترة بين موسى وعيسى - صلى الله عليهما - نحو ألفى سنة، لعظم آيات موسى، وعظم الكتاب الذى أنزل معه، ولما بعث بينهما من الأنبياء، صلوات الله عليهم - وهذه المدة أطول المدد التى كانت من ذكرنا - عليهم السلام.

ثم لما تزايد الكفر، وتغيرت أحوال بنى إسرائيل، وشاع الإلحاد بالفلاسفة، وبعث الله تعالى عيسى - صلى الله عليه - وبقي فيهم ما بقى، وقد أكرمه الله تعالى ورفعته إليه، ثم كانت الفترة بينه وبين نبينا محمد - صلى الله عليه وعلى آله - نحو ستمائة عام.

فكانت هذه المدة أوسط المدد، وذلك - والله أعلم - لأن حجج الله تعالى كثرت فيها لبقاء التوراة، والزبور، ونزول الإنجيل^(١)، ومع ذلك كثر الضلال، وقيل فى المسيح^(٢) - صلى الله عليه - قولان عظيمان، أحدهما ما قالت اليهود^(٣)، والثانى ما قالته النصارى.

ثم ابتعث الله عز وجل النبى محمدا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وختم به

١ - معنى الإنجيل "إيفانجيلوس" فى اليونانية، وهى كلمة مكونة من مقطعين: إيف، انجيلوس. ومعنى "إيف" السرور، ومعنى "انجيلوس" الخبر. فيكون المعنى: الخبر السار. والكلمة فى القبطية تنطق "إيفانجيليون" ومعناها الخبر السار المفرح. يقول بطرس عبد الملك فى قاموس الكتاب المقدس: "إنجيل من اللفظ اليونانى انجيليون ومعناه خبر طيب".

٢ - مشتقة من الكلمة العبرية "هاماشياه" وفى الآرامية "مسيحا" وفى اللغات التى لا تنطق الحاء تنطق "مسيا". ومعناها فى الأصل: المسوح بالدهن المقدس، ومعناها مجازاً: المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة، وكان معناها الحرفى: هو أن النبى يأخذ قينة دهن مقدس ويمسح النبى الذى سيخلفه أو العالم أو الملك، فتصير ذاته مقدسة، ثم صارت كلمة المسيح تطلق على المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة ولو لم يمسح بدهن مقدس.

٣ - اليهود: اسم قبيلة، مأخوذ من الهود: أى التوبة، ومعنى هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد، وفى سورة الأعراف يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام: "إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ" (الأعراف: ١٥٦) أى تبنا ورجعنا، ويقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا تِلْكَ أُمَّاتٌ قَدْ خَلَتْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] والمراد: يهودا، فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية. وقد ورد ذكر اليهود فى القرآن الكريم باسم (الذين هادوا) عشر مرات، وباسم (اليهود) ثمانى مرات، وباسم (هوداً) ثلاث مرات. (لسان العرب ٣: ٣٤٠، تفسير البيضاوى ص ١٤، قاموس الكتاب المقدس ١٠٨٥).

الرسالة، ونحن من مبعثه على نحو من أربع مائة عام، فخل ذلك على قرب الساعة، وأزف القيامة، وتحقيق ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٢) وقول النبي - صلى الله عليه - : " بعثت أنا والساعة كهاتين " وأشار بأصبعيه.

فانظروا رحمكم الله في حسن نظر الله - عز وجل - لعباده، بما ذكرناه، واعتبروا به، واستعدوا للدوام، والبقاء، فلها خلقتم. فكان الواقعة قد وقعت، والحاقة قد حقت، ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾^(٣) ولا يصدنكم عنها الشيطان^(٤)، وأتباع الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾^(٥).

وفقنا الله وإياكم، لطاعته، واتباع مرضاته.

وأقدم أمام العرض، فصلاً أذكره من قبل علماء أهل البيت - عليهم السلام - وهو: أن الله تعالى لما بعث موسى - صلى الله عليه - بعثه بالآيات التي بهرت، ما كان هي ولوع الناس به في ذلك الزمان من السحر والتمويهات، وأتاهم من العصى واليد البيضاء، وقلق البحر، ونحو ذلك، مما لا تبقى معه شبهة في أن ذلك ليس من السحر في شيء، إذ كان أولئك به أعرف، وبالفصل بين السحر وبين ما ليس سحر، أعلم، لعلمهم بمبلغ قوة السحر، وغاية أمره.

ولما بعث الله سبحانه المسيح - صلى الله عليه - آتاه من الآيات التي بهرت ما كان ولوع الناس به في ذلك الزمان من الطب، فأيده - سبحانه - بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، لثلاث تبقى شبهة لأحد منهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بمبلغ قوة صناعة الطب، ومنتهى غايته، وما يكشف لهم من الأمر ما عساه كان لا ينكشف لغيرهم في تلك المدة اليسيرة.

١ - الأنبياء: ١

٢ - القمر: ١

٣ - الشورى: ٧

٤ - أنظر: إبليس.

٥ - طه: ١٥-١٦

ولما بعث الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه في قوم هم الغاية في الفصاحة والبلاغة، والنهاية في البيان، والسلاقة. إذ حظ العرب من ذلك أوفر الحظوظ، ولهم منه ما ليس لغيرهم من الأمم، فأيده سبحانه بالقرآن، وجعله معجزا له، لأنهم يعرفون من حاله، ما لا يعرف غيرهم، ولأنهم إذا عجزوا عن معارضته، لم يبق شبهة في أن غيرهم أعجز، وأعجز، ومع ذلك لم يخله - عز وجل - من سائر المعجزات على ما نبينه من بعد. بل كثر ذلك، وتواتر، حتى لم يبق في أمره شبهة لمنصف.

والحمد لله على نعمه السابعة، ومنحه البالغة.